(١٨)

محمد بن عبد الله
مسيح الله وإنسانه، وظاهر الحق وعنوانه
مثالية للرضوان للناس وكافة للأجناس

حديث الجمعة

٧ رجب ١٣٨١ هـ - ١٥ ديسمبر ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبغيرها لا شهود ولا وجود (البسملة).

أرسل الله محمدا وجعل له السلام وبه السلام بالهدى ودين الحق، ثم أظهره على الدين كله وقد بعثه من قديمه في أحسن تقويم، بحاضره في أحسن تقويم إلى مستقبله لأحسن تقويم، ليعرف قديمه بقادمه في حاضره فيعرف رب العالمين للعالمين.

بعث من قديم إنسانه في إنسانية الله الأزلية، بدءا لإنسانه في إنسانية الأبدية بالله، حقا حاضرا في حاضر إنسانيته أمة المؤمنين.

بعث حاملا لكتاب، وقائما بكتاب، وباعثا لكتاب، ومغلقا لكتاب، وبادئا لكتاب، خاطب الناس على قدر عقولهم فيه، أعطى كل ما يستطيع، وهيأه لما سوف يستطيع، وائتمن من استطاع على ما حملّه مما استطاع.

أمته تزداد في تجددها قدرا، وتمتد بنورها في الأمم روحا ودهرا، عترة قرآنه، وشعب كتابه وبيانه. يمتد فيها بنوره من نورها، وتمتد في الأمم بنورها من نوره. إنها نور الأمم وهو نورها، الله من ورائهما بإحاطته. إنه مفرداتها وجماعتها للمثل الأعلى الذي وعده الله، إنه لكل من أحب الله ولكل من أحبه الله، ما أعطيه فردا وبيتا وأمة فلأمته جماعتها ومفرداتها.

إنها أمة محمد أناجيلها في صدورها، وعذابها في قبورها. تبقى في الأرض شهداء، عذابها في دنياها، تتجدد فيها جلودها كلما نضجت حتى تستوي وتنضج بيد من خلق فسوى في منامها. ونعيمها في أخراها، تنطلق من الأرض ملئها الأدنى مجتازة السموات إلى ملئها الأعلى في قيامها، تتوفى نياما، وتموت قياما، وتبعث بدءا، وتعود مرسلة، وترفع بيوتا بذكر ربها، وتوضع بيوتا باسم مرسلها. أمة عاملها الرحمن برحمته، وأعطاها من قدرته ومشيئته، وقومها لإرادته باستقامة إرادتها على مراده، {والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[1]، تلتئم حول محمدها ما عرف له فيها امتداده، وتستمد من نبعه لحياتها ما ظهر لها بينها منه رشاده، لا ترفض الحكمة ولا تفقدها، لا ترفض الحياة ولا تفتقدها.

أمة أحياها الله بالحق أنزل عليه، وعلمها بالنور الذي أنزل معه. أمة خصها الله بالأمر بالمعروف الذي عرفت من الحق فيه أنزل عليها منه بالحق نزل، بعث بالحق ومات عن نفسه من الظلام، تدعو إلى الخير وتقوم بالعدل، ولا ترهب قدرة الظالم فربها أقدر منه، ولا تجور على الضعيف والله أحنى عليه. أمة جعلها الله خير الأمم إذ جعلها أمة وسطا. أمة تعرف لها بدءا، تعرفه لنفسها وتعرف أن الله لا بدء له. أمة تعرف أن لها انتهاء في أمر نفسها يوم تنتهي إلى معناها على ما أريد بها من قيام الحق، على وصف الحق عندها، من قيام الروح على المادة، من قيام الغيب على الشهادة، من كشف ما بين جوانحها من غيب الصدور، ومعلوم الحياة، وتعرف أن هذه النهاية لها إلى الحق بها ولا نهاية لمعبودها، كما لا انتهاء لعطائها، لا يحصر ولا يجز. تشهد أمرها وربها في اليوم الآخر ظهورا لأمرها وربها لليوم الأول. وإنها بقديمها وجديدها في لمح بالبصر من اللانهائي في موجودها لمعبودها.

أمة تعرف أن الخير فيها جديد لقديم، بلا بدء لها ولا بدء له، وأن الخير فيها في جديدها من قديمها بلا انتهاء لجديدها ولا انتهاء له. أمة تعرف الله، وتعرف أن الله لا يحده وصف، ولا يحده مكان، ولا تحده ذات، ولا تحده تسمية أو أسماء، ولا تنقضي لصفاته معارف أو أعلام. الله عندها سرمدي أزلي أبدي، يقطع الزمان ولا يقطعه الزمان، ويخلق الزمان ولا يخلقه الزمان. الله عندها يملأ المكان ويخلق المكان، ولا يحده المكان ولا يخلقه المكان، ولا يملأه المكان.

أمة عُرِفَ لها الله برسوله، بوجهه، بحقه. عُرف لها الله على ما يليق أن يعرف الله، وعلى ما يصح أن يعرف الله، وعلى ما يجب أن يعرف الله.

أمة لا ينقطع وجودها، وكيف ينقطع وجودها وهي تقوم برجلين {وخلقناكم أزواجا}[2]؟ رجل عرف ورجل طلب أن يعرف. لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها، رجلان هما الناس جميعا. أمة تتعدد بتواجدها في مشارق الأرض ومغاربها كلما قام رجلان في الله يتناجيان

وبالله ينشغلان. تتعدد ظواهرها في زوج من إنسان لله سره ونجواه، وتتوحد في جوهرها بجمعهم جوهر الإنسان في حقيقة رسول الله وعبد الله ووجه الله وحضرة قدس الله من حضرات الله، لا انتهاء لها ولا بدء لها ولا انقطاع لها.

إن الأنانية في الإسلام بالمادة وبالروح، أما بالمادة لمن أسلم فهي معاني الكون بالعبودية، وأما بالروح فهي معاني النور بالربوبية. والكائن البشري في الإسلام عبد ورب توحدا في عالم من ذات، كان الروح فيها هو الرب لها، وكانت المادة لها هي العبد له، قائما على كل نفس أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، معها أينما كانت. إن الربوبية في الإسلام أمر مدرك للمسلم قائم به، قائم عليه، قائم له. إنها قضية ما بين ماديته وروحانيته. إن الله عند المسلم لا يغيب أبدا، ولا يحتجب أبدا، ولا ينفصل عن عبده أبدا، به يستعين وإليه يجأر، وهو له يسمع، وبه يأتنس، وإليه يأنس، ومنه يستمد، وله يخضع، ولذاته يستجيب. إن نداء الله عند المسلم من أعماقه من ضميره.. استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك.

إن في المسلم ضمير حي بصير، بل الإنسان على نفسه بصيرا.

إن فيه ضمير لا يخطئ أبدا، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، الحلال بين والحرام بين. إن الإسلام دين ميسر، هو دين العقل، هو دين الضمير، هو دين المنطق، هو دين الوعي، هو دين استقامة الغريزة، هو دين الكسب، هو دين الجوارح، هو دين القلب. لا يخرج من الإسلام كائن بشري على الأرض أو في السماء أو تحت الثرى لأنه دين الفطرة.

أما الإسلام كتابا فأمر آخر، أما الإسلام رسولا فشأن آخر، أما الإسلام رحمة مهداة وسبيلا ميسرة، وكتابا يأخذه الإنسان بيمينه بما عمل فشأن آخر، أما الإسلام إنجيل في كل صدر، ورسول يبعث بكل مسلم، فشأن آخر، وأمر آخر. إن بداية الحياة لأهل الكتاب يوم يطلب العبد المخلوق الحياة بربه الخالق في معناه، فيكشف عنه غطاؤه، ويسقط عنه رداؤه، ويقوم بما فيه من روح الله، ومن نور الله حجابا لله، من ورائه رحمة الله عاملة، ومنه معرفة الله مفاضة. مات قبل أن يموت فكان الحق منزلا، والبيت موضوعا، والأمر مرفوعا، ووجه الله معلوما. هذا هو الإسلام الكتابي الذي غفلنا عنه، وجهلنا أن الكتاب وحامل الكتاب إنما هما شأن واحد، وأن الرسول وما يحمل الرسول إنما هما حق واحد، وجهلنا أن الرسول وهو الحق لا يموت أبدا، ولا يغيب أبدا، ولا ينقطع عمله أبدا - قل جاء الحق - فكيف ينقضي الحق؟ وكيف يغيب الحق؟ وكيف يموت الحق؟ إن الرسول وهو الحق من ربه أعلمنا وعلمنا لنعلم أمر أنفسنا في متابعته أنه يولج في الأرض حيا والله معه - أنا حي في قبري - من حج ولم يزرني فقد جفاني- وأنه يُرفَع في السموات حيا يرى بالله ما يرى الله، ويستمر في حمد الله وفي

شفاعته لأنه عند الله - عند الرفيق الأعلى - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.. تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم. كما أنه بالتكاثر لا ينقطع له وجود بيننا فهو الذي امتد ويمتد بما أُنزل عليه من نور الله، أفمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها! وأوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب وما الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء، نور السموات والأرض. وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. إنا أعطيناك الكوثر. نعم أُعطي التكاثر خلقا وحقا، فكان كوثر الحياة وهو يقول لنا: (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة...)[٣]. إنه الناس في نيامهم، وإنه الناس في يقظتهم وقيامهم، وإنه الناس في هاويتهم. (لو ألقينا بحجر على الأرض السفلى لوقع على الله)[٤]، (إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه)[٥] إن الله لا نهاية له، وإن العبد فيه لاحق بربه، لا نهاية له في نشأته، ولا نهاية له في كمال خلقه، فهو عبد لا نهاية له لربه اللانهائي.

لقد رضى رسول الله، لا بل طلب وألح في الطلب أن لا يكون في الله إلا عبدا، سماءً كان فيه أو أرضًا، يدرك في عبوديته منه وصلته بربوبيته له، أن لا نهاية لمرتقاه، ولا نهاية للرحمة به، فيبقى في عبوديته متجددا منتشرا متعددا أمة لله، لا نهاية لها، فيملأ ربه بعبوديته فراغ الوجود بالحياة، خلقنا السماء بأيد وإنا لموسعون. ما كنت متخذا المضلين عضدا. وقد جعل الله من محمد يده المبايعة، العاملة، الممتدة عن قديمه مغفورا في جديده مشكورا.

إن محمدا هو العبد الذي شرفت العبودية به لأنه أراد أن يشرف بالعبودية على ما عرف العبودية، وعرَّفها غاية تطلب وحظا ينال. لم ير في العبودية للربوبية ما يكره وما يمج، وما يمقت، لقد جعل من العبودية أمرا يشغل صاحب العبودية وطالبها ولا ينقضي له فيها طلب ولا يجز له فيها عطاء، ولا تنقضي له بها مشغولية، عبودية نامية، متسعة، منتشرة، مرتقية دونها السيادة لأنها تطلب ربوبية لا نهائية لا يشغلها ما ترب عمن تحب من حبيب ورب.

لقد جاء محمد شرف البشرية، وحظ البشرية، وسعادة البشرية، وسكينة البشرية، وسلام البشرية، وكان في قيام متابعته ساعة الصادق، وقيامة الصديق، وعبودية الموحد، وقدسية الساري. لقد كان محمد شرف وجود كل موجود ما تواجده، ما طلبه، ما عرفه، ما كانه، ما تابعه. إن الألوهية والربوبية عند محمد أمران للإنسانية، فيها يقومان، وبها يقومان. إن الألوهية والربوبية عند محمد هما حالان علويان للإنسانية، يوم ترتقي مرتقاها، فتتحجب بحجبها من تعدد معناها عن نشأتها بمعناها، فهي غيب الإنسانية لشهادتها بمعناها، ويوم يداني مدانيها لمن يسعد بها فيها ارتدادا منها فهي الرحمة والربوبية، ويوم يتوحدها الموحد ويعرف أنه في عبوديته عين من سبق من أحسن تقويم للانهائي

بمعنى الإنسان يتعدد ويتجدد فيه، وفيمن تابعه حتى لا يستعلي عليه مرشدا على من يرشد، ولا يقوم ولا يعلو ربا على من به يرشد. إنه الإنسان، إنه لا يفكر إلا في كسب العبودية، إنه لا يفكر إلا في نمو الحياة الإنسانية، إنه لا يفكر إلا في كسب العبودية، إنه لا يفكر إلا في نمو الحياة الإنسانية، إن اللانهائي أقرب إليه من حبل الوريد، هو ومن في ريادته وولايته من عباده وأنداده، بعبودية سبق يعرف أن الربوبية فيه دونها فالعبودية في الإطلاق لا نهاية لها، والغيب والشهادة للحق إنما هما وصفان في عبد الحق ووجه الحق.

إن كل وصف لعبودية اللانهاية من قبل محمد لم يكن مدركا ولا موفيا، ولا يمكن أن توصف العبودية على ما وصفها محمد، وعلى ما عرفها محمد بخير مما عرفها به. إن محمد عرف العبد بالكائن الطليق الذي لا تقله أرض ولا تحده سماء، عرف العبد متسعا لما لم تتسع له السموات والأرض، متسعا لأقداس الله، متسعا لعوالم الله، متسعا لموجود الوجود له من الله. إنها إنسان الله بظاهره والله باطنه، عبدا لرب وربا لإله، وإلها لغيب في إنسان لله، قام ذلك كله في العبودية على ما قامها، وعلى ما طلبها للناس يطلبونها في متابعته من ربه، وحقه من اللانهائي، متابعة لا تنتهي في لانهائية مرتقاه ورقيه هو من اللانهائي عليه في اللانهائي له، باللانهائي منه.

ما أجمل العبودية على ما عرفها محمد! ما أسعد العباد على ما قام في العبودية محمد! ما أرحب الأمل وما أدناه في طلب العبودية، لا ينقضي طلبها خلف محمد! يطلبها لنفسه، لا ينقضي طلبها، اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين. وما أجمل الربوبية وما أكملها وما أقربها وما أحبها على ما عرفها وعرفها محمد أقرب من حبل الوريد!

هل عرفنا محمدا عبدا لله؟ هل طلبنا ما بعثه به؟ هل تابعناه موجودا حقيا أو كائنا أرضيا؟ هل حددنا آمالنا أن نكون عبادا لله على مثاله عبدا لله، على ما بشرنا لنا بنفسه يوم قال (ما أعطيته فلأمتي)[٦]؟ هل طلبنا بحقه لنا حق الله بنا في متابعته بيننا حقا وخلقا؟ هل آمناه حيا تحت الثرى؟ هل آمناه حيا عند الرفيق الأعلى؟ هل آمناه يرى وربه والمؤمنون في دوامٍ أعمالنا، يشكر عنا ويستغفر لنا؟ هل آمناه في متابعة كوثر الحياة فينا وكوثر الحياة بيننا بشعورنا بافتقارنا؟ هل حقيقة نحن جديرون بأن نسمى أمة محمد؟ إن محمدا لا يرفضنا، (أمة مذنبة ورب غفور)[٧]. إن محمدا يعتبرنا أمته على قذارتنا وعلى ظلامنا، وإني لأنجل وأذوب حياء من الرسول أن أزعم أني وقومي أمة له. ولكن هل رضينا نحن الأقذار أن ننفض عنا القذارة لنكسبه نورا بين جوانحنا من سرج قلوبنا مشعلة بجذوة الحياة مفاضة من الروح الأعظم لأرواحنا في انتسابه إلينا بشرا، وانتسابنا إليه أبناء لآدمه؟ هل تخلقنا بأخلاق الله

في التخلق بخلقه بيننا حتى نتخلق به بهمة أنفسنا، فينبثق من قلوبنا نور الله بإشعال جذوة الحياة، بتعرضنا لنفحات الله في أيام دهرنا، برجال منا وجوه قيامه، وأعلام سلامه؟

ماذا نعرف اليوم عما جاء به محمد؟ يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. إذا قيل لهم أنتم في يوم من قيامة بمحمد ورسالته، وأنتم بقيام الله عليكم بالحي القيوم منه تقومون، قائما على كل نفس، وما القيامة إلا إدراك قيامه على النفس وبها، انفضوا غبار الغفلة عنكم، وانقلبوا بالبصر إلى أنفسكم تشهدوا قيام الله عليكم، إنها إلى ربه منتهاها وهو لكم ما كنتم له، استكبروا بأنفسهم منقطعة عما بها من الله استكبارا على من هداهم، حتى تأتيهم سكرة الموت بما كانوا عنه يحيدون من الحق، وظلوا يرددون ألفاظا كالببغاوات حملت إليهم من سفهاء آبائهم وسلفهم الطالح، ما أدركها حاملوها، وما وعاها مدركوها فاقرين مما كان عليه السلف والخلف الصالح، حتى إذا جاء البيان بروح العيان يقوم للإنسان بالإنسان من الإنسان، لجوا معاندين، وجمدوا متكبرين خشبا مسندة، أو حمرا مستنفرة فرت من قسورة.

إن الرسالة الروحية وهي تظهر بوسطائها غائبين عن أنفسهم أو يقظين، إنما هي قيام الغيب على الشهادة وامتداد ملكوت الحقيقة إلى ملكوت العقيدة. يقوم بها الفعل كما قام في حديثها القول الحق من الله، فقد جاء بها الداعي لا عوج له، جاء ويجيء بها الدعاة لا عوج لهم، ويجيء بها أمر الله، ورسول الله، وروح الله، وقدرة الله. جاءت بالبيان وتجيء به، جاءت بالحق وتجيء به، جاءت اليوم بالعيان، ها هي وجوه ناضرة لربها ناظرة، وها هي وجوه عليها غبرة ترهقها قترة، وقد وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت إلى الحياة، وأيديهم على أبصارهم حذر البصيرة من البصر. لا يريدون أن يبصروا نور الله مشرقا حتى لا يذهب عنهم عمى القلوب وهو الحبيب إليهم بوهم دين لا عقل ولا روية فيه من تحريف، بأنفسهم وضعوه وإلى الله نسبوه. وما قام دينهم وأديان من قبلهم إلا على وصلة الروح وحديث الروح لمؤسسي الأديان، وأبوا إلا أن ينسبوه إلى الأبدان، ويجسدوا لعقولهم كل معنى لعنوان. ولكن الله يريد على ما عرف أمينه ورسوله، يريد أن يبرز على ما عرّف قائما على كل نفس، ورسولا بنفسه من قائمه على أي نفس، محققا ما حَمَّل رسوله يوم قال الرسول للناس (خلفت الله عليكم)[٨]، ويوم أعلم الناس {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[٩]. فإن النبوة ليست كالبيان، والفكرة ليست كالعيان، وفي العبودية شرف الإنسان من الرحمن، وإن الله في هذا الزمان يأتي بالبيان والعيان، فسيظهر على كل نفس قائما معنى الحياة في الإنسان، وضعف الحياة للإنسان، فكيف تكون القيامة أيها الناس؟ هل ينظرون إلا أن تأتيهم

الملائكة أو يأتي ربك؟ كيف يأتي ربه أيها الناس، وقد جاءت الملائكة في عباد الرحمن يمشون على الأرض؟ {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا}[١٠]، فما قبلوا لأنفسهم معناهم، وما عبدوا معهم مولاهم.

أمهلكم ألفا ونصفها من السنين في يوم القيامة والدين بمحمد الأمين لتعوه، ووعاه من بينكم واعون، وقام به من بينكم قائمون، جددوا الدين بينكم على رأس القرون، في قرون كل نفس، وبكل مكان. وتواجد بينكم ملائكة الرحمن من عباده ممن عزلتموهم عنكم وقلتم: إنهم القوم لا يشقى جليسهم ولم تجالسوهم، وإنهم الصوفية صوفوا ولم تصافوهم، وقال قائل منكم إنهم أهل الخيال وأنتم أهل الواقع، وإنهم أهل المواجيد وأنتم النفوس الرواسي، وزعمتم السنة لأنفسكم في إبلاس، وزعمتم لها الإيمان وما دخلتم بها الإسلام. سالموكم مسالمة لما عرفوا من روح الله بكم، هم له ملائكة تواجدوا بينكم طائفة بعد طائفة في كل أمة منكم وعند كل جماعة لكم وفي كل مكان، على ما أنبأ الرسول قياما للحق وتعريفا به وحجة للدين والديان. ما خلت منهم الأرض، وهي لا تخلو منهم أبدا، ولكنها أغمضت عنهم العيون بزعم انتظار منتظر يظهر للنفوس، والحق لا يظهر إلا للقلوب، وهؤلاء بعثوا بينهم بقلوبهم، ففي أجداثهم استكفوا وسكنوا، وعن الناس بقوالبهم احتجبوا، وبقلوبهم عنهم ترفعوا. يمهدون لظهور أمر الروح وهم بها قائمين، وهم لها عاملين، وهم منها مرسلين. وها هي الروح تظهر من قرن ويزيد من الزمان، وتثبت وجودها للعيان. ها هم الجاحدون بها يتناقصون والمؤمنون بها يتزايدون. تخضع نفسها وظهورها لعلم أهل المادة رحمة بهم. تخفض لهم جناح الذل من الرحمة. ها هم علماء الأرض يدخلون ساحتها ويدرسون بالبحث قضيتها، فيؤمنون ويتابعهم على إيمانهم من بالعقل يؤمنون، وللعلم يتابعون. ها هم العلماء وقد آمنوا ازدادوا علما. وها علم الروح ينتشر بين الناس، وها هي الروح تسرى في أجساد الناس فيتابع بعضهم بعضا. وها هي الروح تنتشر من بعضهم لبعض فيتوحدون، ويتحابون فيشهدون، وعلى الله وذكر الله يتلاقون، وعلى علم يتناجون، وبحق الله يتكاتفون.

ها هي ظلمات محترفي العقائد والأديان تنقشع. ها هو سلطان الأنبياء الكذبة يتبخر وينكشح. ها هو الإنسان بعظمة قدسه وألوهيته يظهر في جلباب عالمه من مادته. ها هي أوثان الأوزار من الأجساد تسقط عما بها من نور الله. ها هي الظلمات وأهلها تستميت دفاعا عن آخر معاقلها ولا تلبث أن تزول.

إن الناس هم الناس، يخاصمون النبيين للحق بغير الحق، ويقتلون النبيين للحق بغير الحق، ويتبعون النبيين لغير الحق بغير الحق من باطل نفوسهم. ولو أنهم يخاصمون على الحق لتحابوا. ولو أنهم تصارعوا على الحق لوصلوا للسلام. ولكنهم يتصارعون على الدنيا ويريدون أن يمتطوا أهل الحق إلى أهدافهم من المادة بلاء وابتلاءً من الله، فإذا امتنعوا عليهم وأعوزهم لحكم العامة رجال للدين يمتطونهم لأغراضهم،

اصطفوا أولياءهم من المنافقين ورفعوهم درجات باسم الراسخين. ماذا يريد الناس من طلب المعرفة عن الساعة أو طلب المعرفة عن القيامة، والأمر بينهم أصبح قائما؟ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولكن أولياء الطاغوت ما زالوا في غيهم من تسويف الحقائق وإبعاد النظر إلى الحق الذي لا غيبة له، باسم لا نهائيته عند موصوليه وعارفيه وقائميه.

يوم تأتيهم سكرة الموت بالحق مما كانوا عنه يحيدون، ويتكشف لهم مفارقة الحق لهم بما كسبوا مما كانوا يعملون فإنها قيامة العذاب.. قيامة الحرمان من الحق. أما قيامة السعادة.. أما قيامة الجنة.. أما قيامة المعرفة فهي لمن زحزح عن النار وهو فيها وأدخل الجنة وهو فيها فقد فاز جنة عرضها السموات والأرض. إن الرسول إذ يقول لكم موتوا قبل أن تموتوا، وإن الله إذ يقول لكم ولمن خاف مقام ربه جنتان، إنما يعني القيامة بالسعادة. إن القيامة بالسعادة إنما هي لمن يشعر بعد إيمان أن الله قائم على نفسه. إن الشعور بقيام الله على النفس أمر لا يوصف، وشأن ليس محلا للعبث، وهو أيضا أمر يستسيغه العقل ولا يستعصي عليه تصوره أو اعتقاده، ورجاحة العقل في العمل لكشفه وتحقيقه. وساعتك يوم ينكشف الروح بك لمادتك ووعيك فتقوم بالروح في تدبيرك وفي هذا قيامتك. فإذا عم الوعي قوما كانت ساعتهم. فإذا سادت الروح مجتمعهم كانت قيامتهم.

هذا هو الدين لمن أراد أن يكون على دين. وهو أمر غريب على الناس أصبحوا عليه كما كان غريبا على الناس يوم جاء به كل مؤسس لدين. فمن أراد اليوم أن يجدد دينه، ويجدد إيمانه، ويجدد إسلامه، فليجعل من الروح قبلته، ومما تأتي به اليوم شرعته، وليربط نفسه بجمعها، وليسر وراء روادها، فما تأتي به الروح في هذا الزمان لا يختلف عما سبق أن جاءت به في سائر الديانات في صغير أو كبير عن ما جاء به الكتاب الجامع وما جاء به الرسول الإمام الآم للمرسلين عن كتاب الفطرة ورسالة الفطرة، بدين الفطرة، رق كتابها بالكون منشور، وبالإدراك في قوانين الوجود مسطور، العقل في العقلاء مجسدا أمامنا، وفي الاتقاء رائدنا. لا تنقطع له رسالة، ولا يتوقف له المزيد من المؤمنين في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل أمة. في الأرض نباته وفي السماء جمعه. وإلى الأرض بالجمع عوده، حتى يكون يوما في الأرض كما هو في السماء، يعلو جمعه وتعم به كلمة الله، للناس أخوة بالحق قيامهم وإمامهم.

نسأل الله أن يقيم لنا قيامة سعادتنا به في حاضرنا، وأن يقينا شر قيامة أنفسنا من دونه بعملنا بعيدا عنه. كما نسأله تعالى أن يخرجنا من دورنا بأجسادنا سعيا إليه قبل انقضاء عملها وموتها وتوقف السعي إليه بها. كما نسأله أن يميت نفوسنا عن أوصافها قبل أن تموت بظلمها فنصبح ولا نفوس لنا، ولا نصيب لنا من دنيانا.

نسأله أن يجعل ساعتنا بهذه الحياة منقضية في طاعته وذكره، لامعة في موصول الحياة بين ما تقدم وما تأخر لأرواحنا ونفوسنا لمغفرة ما سبق لما هو آت، وكسب ما تخلف لما هو قائم.

اللهم اغفر لوحدتنا فيك من حاكم ومحكوم، وأصلح أمورنا، وارفع حجاب الغفلة عنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، وقنا شرور أنفسنا وقسوة قلوبنا. وعاملنا بعفوك ورحمتك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الفتح - ٢٩

٢ سورة النبأ - ٨

٣ من الحديث الشريف: "بَيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٤ حديث شريف ذات صلة: "لو أنكم دلَّيتُم أحدَكم بحبل إلى الأرضِ السابعة لهبط على الله تبارك وتعالى." أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي.

٥ حديث شريف ذكره الشعراني في "لطائف المنن" مشيرًا إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وكذلك تفسيرات بعض الصوفية للقرآن الكريم بنص: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم".

٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٧ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرَأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةً أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ البقرة - ١٨٦

١٠ سورة الأنعام - ٩